

Situation géographique de Tazzaout

Elle est située à la limite de trois territoires Tounfit – Aghbala et Imilchil, dans le caïdat de Tounfit près du ksar Agheddou, juste au confluent de l'Oued Zebzbat (Assif n'iddammène) et l'oued Agheddou. Elle est limitrophe des Ait Sidi Hsine d'Aghbala et Adossée au haut Atlas oriental.

Sens du mot Tazzaout

Les tribus de dialect «Midoulin» c'est-à-dire du territoire situé entre Azrou et Zaouiât Ait Ishaq le prononce ainsi : Tazzaout.

Mais le reste des Imazighène le prononce correctement avec un «t» emphatique et un «g» mou : Thazgzouth (en arabe et amazigh).

Thazgzouth signifie : «la verdoyante » ou « la verte » tirée du mot « thizzgzouth » qui veut dire « la verdure » qui donne au masculin « azgzaou » (vert) et au féminin Thazgzzaouth (verte). A noter que la zone de Tazzaout est le pays de la cédraie. Certains cèdres y atteignent 50 mètres de hauteur et 10 m de circonférence.

Tiré de l'Article de M. Oubougrine page11



ASSOCIATION
ORALITÉ, CONTES POUR L'AMITIÉ

Revue des Arts de l'Oralité

LA BATAILLE DE TAZAZAOUT

- 1932-

entre écrits et oralité

Cahiers de La Revue des Arts de l'Oralité : 2008



ATELIER PLAQUES SIGNALÉTIQUES
RESPONSABLE: JAMALI YASSINE

Cahier N°1 (2008)

Cahiers de
La Revue des Arts de l'Oralité : 2008

Une publication d'OCADD

(Association de l'oralité, Conte pour l'Amitié, le Dialogue et le Développement)

Directeur de la revue

Ahmed HAFDI

(a.hafdi@yahoo.fr)

Adresse Postale

B.P. 896, 23002 Béni-Mellal, Maroc

E-mail : ocadd@menara.ma, Site : <http://ocadd.africa-web.org>

Les opinions émises dans les articles de ce numéro n'engagent que leurs auteurs

Conception graphique

Tarik HBID

Achevé d'imprimer le 20 Octobre 2008 à l'Imprimerie ELAMRIA ; Maroc

Dépôt légal : 2008 PE 0045

مقاومة آيت سيدي علي مهاوش للإحتلال الفرنسي معركة تازكزاوت 1932

محمد العروسي

بعد تقدم القوات الفرنسية بالمنطقة الشرقية واحتلال الشاوية سنة 1908، وبعد التسمية الفرنسية-الألمانية للقضية المغربية. يعقد اتفاق 4 نونبر 1911، ساد الاعتقاد لدى أصحاب القرار من سياسيين وعسكريين فرنسيين بسهولة غزو واحتلال المغرب لضعف السلطة المركزية واضطراب الأوضاع الداخلية واختلال موازين القوة بين البلدين.

ولتفادي التجربة الاستعمارية الجزائرية والتي تطلبت وقتا طويلا ومعارك دامية، تبنت فرنسا صيغة الحماية كأسلوب استعماري على غرار النموذج التونسي(1).

ومنذ البداية هيمت تصور على الأوساط الاستعمارية الفرنسية أن عمليات الغزو لن تتخذ طابع عسكريا ولكن مجرد دوريات شرطة لقمع بعض الاحتجاجات هنا وهناك. لأنه ليس بإمكان مجتمع منقسم إلى مجموعة من الوحدات الاجتماعية التقليدية والقيادات المتنافسة والقوى المرابطة، ناهيك عن ضعف السلطة المركزية، مواجهة الجيوش الفرنسية المجهزة بأحدث أنواع الأسلحة والمتوفرة على وسائل النقل والاتصال(2).

ولكن مع توقيع عقد الحماية من طرف السلطان المولى عبد الحفيظ سنة 1912، وانفجار الوضع على شكل انتفاضة شعبية واسعة وانتشار فكرة الجهاد بين السكاك، واندلاع المواجهات المسلحة لإيقاف تقدم الفرنسيين بالشاوية والمنطقة الشرقية(3)، طرأ بعض التحول في الخطاب الاستعماري وأصبح يندبني على فكرتين أساسيتين :

أولا : أن الحرب الاستعمارية ليست حربا قدرة كما هو الحال في أوروبا ولكنها حربا صانعة للحياة كما أكد اليوطي في مختلف مراسلاته.(4)

ثانيا : أن عمليات الغزو ليست إلا عمليات تهدئة "Pacification" باسم ولحساب السلطان.

وكانت هذه الدعاية الإيديولوجية تسعى إلى رسم صورة مغيرة لما يجري على أرض الواقع. فالهدف من العمليات هو القضاء على ثورات القبائل ضد المخزن، أي القضاء على الفوضى ونشر الأمن وإعادة بناء وتوحيد الدولة. وهذا لن يتم إلا باستكمال السيطرة على جميع المناطق، ولتحقيق هذا

LA BATAILLE DE TAZAZAOUT

- 1932 -

entre écrits et oralité

الهدف، قادت فرنسا حملات عسكرية على مختلف الجبهات فيما بين 1908 و1934 وفقا لمخطط سياسي واستراتيجي نتج عنه في النهاية القضاء على المقاومة المسلحة والمحافظة على الهيكل التنظيمية التقليدية من قيادات ومشيخات تحت الإشراف المباشر للإدارة الاستعمارية.

وقبل استكمال السيطرة، وقعت مجموعة من المعارك بالمناطق السهلية والجبلية ومن بينها معركة تازكراوت سنة 1932 برعاية سيدي المكّي بن علي امهاوش.

وبناء عليه سوف نتطرق إلى ثلاثة نقاط:

- 1- نفوذ آيت سيدي علي امهاوش وانخراطهم في المقاومة
- 2- فشل سياسة استقطاب سيدي المكّي امهاوش
- 3- خصائص وطبيعة معركة تازكراوت

1. النفوذ والانخراط في المقاومة

ينحدر آيت سيدي علي أوامهاوش من سيدي علي أوحياب، الذي عاش خلال القرن الثامن عشر، وكانت أمه تلقب بتمهاوست. وقد صنف Drague أمهاوش ضمن قبيلة آيت وبر، والتي تنتمي بدورها إلى اتحادية آيت اسري. وعرفت العائلة أحيانا تحت اسم آيت سيدي علي وأخرى تحت اسم إمهاوش(5).

وكان سيدي علي أوحياب أحد أتباع الزاوية الناصرية وأحد طلبة مؤسسها محمد بن ناصر المتوفى سنة 1674 بتامكروت. وتوفي سيدي علي أوحياب بين سنة 1730 و1735. وخلال القرن التاسع عشر أصبح آيت سيدي علي تابعي للزاوية الدرقاوية.

وحسب المصادر، كان نفوذ آيت سيدي علي يشمل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قبائل بني مكليد واشغرف وأيت احد وأيت سخاف وأيت وبرا وأيت محند، أي رقعة جغرافية واسعة تشمل مناطق من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. إلا أن مركز النفوذ كان هو قبيلة آيت سخاف، (6) والتي تتكون من آيت عدي وأيت داوود وعلي وأيت سعيد وعلي. وقد عدد الطلائع السخافية خلال الثلث الأول من القرن العشرين ب 4000 عائلة، ولعبت عائلة امهاوش أدوارا تاريخية ثلاثية منذ القرن الثامن عشر، الأمر الذي أهله لترجم قبائل المنطقة وقيادة عمليات المقاومة ضد جيوش الاحتلال.

ومنذ عمليات الإزبال بالدار البيضاء في غشت سنة 1907 واحتلال الشاوية وتوغل الفرنسيين بالمنطقة الشرقية ووصولهم إلى بودنيب، انخرط آيت سيدي علي في المقاومة. وبتنسيق مع الزاوية الدرقاوية بمنطقتي فركلة ومدغرة، قام سيدي علي أمهاوش بالدعوة إلى الجهاد (7) فجمع قوات قدرتها المصادر الفرنسية ب 20 ألف مقاتل(8). إلا أن المقاومين الذين حاولوا اعتراض تقدم القوات الفرنسية ببودنيب، لم يتمكنوا من إيقاف تقدم الجيوش الغازية لطبيعة المسطح وضعف التسليح، فانهزموا في



SOMMAIRE

Avant-Propos	Page 01
Tazizaout: une bataille oubliée	Page 03
Michael PEYRON	
La bataille de Tazizaout dans la mémoire collective orale	Page 09
Mohamed Ou bougrine	
La Bataille de Tazizaout dans la littérature orale Une tayffart contre Sidi El Mekki Amhaouch	Page 17
Bassou HAMRI	
La Bataille de Tazizaout «trous de mémoire»	Page 29
Houssa Yakobi	
الصفحة 44	مقاومة آيت سيدي علي امهاوش للإحتلال الفرنسي
محمد العروسي	معركة تازكراوت 1932



المعركة. وبعد توصله بالخبر رجع سيدي علي إلى الجبل، كما أن سيدي علي حاول صد الفرنسيين في منطقة واد سرو. وتوفي سيدي علي سنة 1918 (2) فخلفه ابنه سيدي المكي بطل معركة تازكراوت. وقد بذلت السلطات الفرنسية جهودا كبيرة لاستمالة سيدي المكي. فما هي طبيعة سياسة الاستقطاب؟

2. فشل سياسة استقطاب سيدي المكي

لاستكمال السيطرة على المغرب لجأ المستعمر إلى وسائل متعددة، من بينها سياسة الاستقطاب والاستعمال الكثيف للمغاربة في المواجهات العسكرية وبث التفرقة عن طريق الرشاوى وتوزيع الوعود.

وقد تم نهج هذه السياسة بجميع جهات المقاومة، الأمر الذي أدى إلى تصدعا. ومن هنا ضرورة التساؤل حول الإستراتيجية السياسية والعسكرية لاحتلال. وطبيعة الأدوار التي قام بها القواد وشيوخ الزوايا وأعيان القبائل أي الزعامات التقليدية.

ومنذ تعيينه مقبلا عاما بالمغرب، اتبع اليوطي سياسة تقوم على استعمال القوة العسكرية والوسائل السياسية عند غزو أو احتلال أية منطقة لترهيب السكان وبث التفرقة وتحطيم اقتصاد القبائل، لتسهيل عملية الخضوع (10). وكانت العمليات العسكرية تسبق دائما بعمل استطلاعي وسياسي لمعرفة المعطيات الطبيعية والاثنية وبذل الجهود للدخول في مفاوضات مع زعماء القبائل والشيوخ والأعيان بهدف استقطابهم. وبهذه السياسة تم استقطاب مجموعة من العناصر ساهمت في شق الصف وإثارة الفوضى وإضعاف المقاومة مستغلة التنافس التقليدي بين مختلف الزعامات. وبعد الخضوع كان يفرض على السكان، بعد دفع الغرامات المالية وتسليم الأسلحة، المساهمة العسكرية إلى جانب قوات الاحتلال. فأنشأ معركة تازكراوت ساهم في الحصار والهجوم فرق من زاياك وآيت صغروش وتادلا بالإضافة إلى عناصر الكوم (11).

ولهذه الاعتبارات لا يبيك فهم عمليات الاحتلال والمقاومة دون الأخذ بعين الاعتبار هذه السياسة التي أدت في كثير من الحالات إلى التناخك بين الخضوع والمقاومة أي أن الحدود الجغرافية للمقاومة أصبحت غامضة. الأمر الذي أدى إلى نزاعات داخلية بين أفراد نفس القبيلة وإلى حركة هجرة. فبينما بين 1922 و1932 انضم إلى سيدي المكي جماعات من آيت داوود وعلي وآيت وبر وآيت يحيى وآيت اخند واشتقرت بعدها تم احتلال مناطقهم (12).

ولكن رغم هذا الواقع، فقد فشل المستعمر في استقطاب مجموعة من الزعماء من بينهم موها وحمولنايني وموفا وسعيد البراوي وسيدي المكي زعيم المقاومة بتازكراوت. فنذ سنة 1922، أي بعد القضاء على موها وحمو وانسحاب موها وسعيد من القصبية ولجؤته إلى الجبال، حاولت السلطات الفرنسية استمالة سيدي المكي ولكنه رفض الخضوع. وكانت آخر محاولة أثناء حصار تازكراوت، حيث أرسل مبعوثين للتفاوض حول الاستسلام، فتم قتلها تعبير عن الرفض المطلق. وأمام هذا الفشل اضطر الجنرال De Loustal إلى تشديد الحصار والقصف للقضاء على مقاومة سيدي المكي وأتباعه (13).

3. المعركة

إلى غاية سنة 1932 تمكنت القوات الفرنسية من إخضاع مجموعة من المناطق بالأطلس الكبير بعد سيطرتها على الأطلس المتوسط. ومنذ ماي 1932 تقدمت الفرقة المتنتقلة لتادلا من تكلفت في اتجاه الشرق طاردا أمامها آيت داوود وعلي وآيت عدي. أما الفرقة المتنتقلة من مكناس فقد انطلقت من تونيفيت طاردا نحو الغرب جزءا من آيت يحيى وآيت حديدو. فتجتمع الاجنوف تدريجيا ابتداء من شهر ماي بين أبدو وإكاسف حيث توجد مرتفعات تازكراوت . وانضم إلى هؤلاء آيت سيدي علي امهاوش بزعامة سيدي المكي وتمت محاصرة الاجنيب من الشمال والشرق والغرب(14).

وفي شهر يوليوز وبواسطة الاستطلاعات الجوية ومكتب الاستعلامات، علمت القوات الاستعمارية بالتجمع التدريجي للسكان بمنطقة أبدو وإكاسف، فتقدمت الفرقة المتنتقلة لتادلا واحتلت منطقة البحيرات، فأخلى آيت سخمان الاجنوف منطقة اكاسف وتجمعوا حول سوق تافزا غرب منطقة تازكراوت، في حين تقدمت الفرقة المتنتقلة لمكناس فسيطرت على أنفكو والضفة الشمالية لأبدو شرق تازكراوت. وأثناء هذا الرفع فشلت محاولات مكتب الشؤون الأهلية للاتصال بسيدي المكي وأتباعه. وتم تبني خطة عسكرية أولى تقوم على تشديد الحصار والتنسيق بين الفرقين العسكريين لتادلا ومكناس ودراسة الوضعية بدقة ووضع مجموع القوات تحت قيادة الجنرال De Loustal، وكانت القوات مكونة من الفرق التالية .

1- الفرقة المتنتقلة لمكناس

- أربعة كتائب
- ثلاثة فرق من الكوم
- سريين
- فرق من المتطوعين المغاربة

2- الفرقة المتنتقلة لتادلا .

- كتيبتين
- بطاريين للدفاع
- ثلاثة فرق من الكوم
- فرقة من المخازنية
- ألف من المتطوعين المغاربة (15)

ومع تقدم القوات وتشديد الحصار، توزع المقاومون على ثلاثة تجمعات :

AVANT-PROPOS

- الجنوب الغربي لتازكراوت
- منطقة تافزا
- الشمال الغربي لتازكراوت

وكذلك الهدف من هذا التوزيع مراقبة تحركات القوات والاستعداد الدائم لصد أي هجوم وحماية العائلات والمأشية .

وفي يوم 18 غشت 1932 اتفق الجنرال Buisson قائد فرقة مكاس، والجنرال De Loustal على ضبط خطة الهجوم وتنفيذه يوم 22 غشت وتتمك في :

- احتلال الأماكن المشرفة على المخيمات .
- تكثيف القصف بالمدفعية والطائرات .
- مهاجمة المخيمات من طرف الزينانيين .

ونظرا للاستعمال الكثيف للمدفعية والطيران، تمكنت قوات الاحتلال من السيطرة على بعض المواقع رغم شراسة المقاومة، وأعطى أمر الزينانيين والمجندين المغاربة للهجوم على المخيمات . فاندلعت معركة عنيفة بالمسكاكين خلفت 18 قتيلًا و30 جريحًا في صفوف الزينانيين، في حين تكبدت القوات النظامية خسارة قدرت ب 21 قتيلًا و35 جريحًا . ولتفادي الخسائر أمر Loustal بإيقاف الهجوم وتنظيم وتحصين المواقع المحتلة (16) .

وفي يوم 23 غشت كثف المقاومون من حملاتهم لإجبار القوات على التراجع وفك الحصار . فهاجموا الزينانيين وقتلوا منهم أربعة ، وحاولوا محاصرة قوات الاحتلال من الشمال والجنوب، وخلفت هذه المعركة ثلاثة قتلى وستة جرحى من بينهم ضابط ، وفي اليوم التالي هاجموا فرقة العقيد Perrot، ولكن تم إيقاف الهجوم بديران المدفعية .

ولتحطيم معنويات المقاومين كثفت قوات الاحتلال القصف بالمدفعية والطائرات بطريقة منهجية (17) وأمام المقاومة الشرسة والخسائر البشرية اضطر المسؤولون العسكريون إلى جمع المعلومات عن عدد القتلى ووضعيتهم ونوع الأسلحة الموجودة بحوزتهم، وبعد الاستطلاعات ظهرت العناصر المحاصرة تتشكل من أكثر من ثلاثة آلاف عائلة من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، ويخوف عدد المحاربين الألف، مسلحين ببنادق حديثة مع وفرة في الذخيرة . ونظم المقاومون الدفاع عن المخيمات بحفر الخنادق وإقامة الحواجز وتنظيم عمليات الحراسة ليلا ونهارا . كما تمت إقامة ملاجئ للعائلات لحمائهم من قصف المدفعية والطيران . ووزعت القيادة بين سيدي المكي ، وأخته المهدي والمرتمضى والمصطفى (18) .

وأدت هذه الاشتباكات، وما نجم عنها من خسائر بشرية إلى تحطيم معنويات المغاربة المشاركين في

La bataille de Tazaout, survenue dans les Montagnes du Moyen Atlas en 1932, , reste un événement historique peu connu de la population et, en particulier, de la jeune génération de la région de Tadmra-Azilal. Certes, certains écrits en parlent, mais de manière succincte. La journée d'étude a voulu confronter l'Histoire officielle, l'Histoire telle qu'elle est relatée par les officiers militaires français et les livres d'Histoire d'un côté, et la mémoire collective de l'autre et ce, pour mieux appréhender les faits. L'Histoire ou l'historiographie est-elle fiable ? Elle peut être manipulée pour différentes raisons (politiques, idéologiques, religieuses, ethniques), d'où les soupçons qui pèsent sur elle en permanence. D'aucuns définissent « l'Histoire comme le récit d'un passé qui n'a jamais été présent, il est susceptible d'être connu sous un grand nombre scénarios, et la superposition des ces scénarios ne livrerait jamais qu'un autre scénario, dont on ne saurait prétendre qu'il se confond avec l'objet » ; R. Barthes précise que « le discours historique ne suit pas le réel, il ne fait que le signifier ». La mémoire, quant à elle, peut être victime d'oubli, de traumatismes ; on parle de mémoire individuelle, de mémoire collective, de mémoire naturelle, de mémoire artificielle, de mémoire blessée, de mémoire passionnelle, de devoir de la mémoire, d'abus de mémoire... , autant de prédicats qui révèlent combien il est difficile d'appréhender le concept « mémoire ». Des fois des événements, commémorés par certains pour célébrer une victoire, sont vécus par d'autres comme une tragédie. « Les enjeux de la mémoire sont trop grands pour être laissés à l'enthousiasme et à la colère », écrit Tsvetan Todorov. Les différents témoignages et communications de cette journée nous aideront à mieux saisir le sens des deux concepts « Histoire » et « mémoire » et à mieux comprendre ce qui s'est passé lors de cette bataille qui n'a pas encore livré tous ses secrets.

Pr. Mohamed BAHI

REMERCIEMENTS

L'association Ocadd a une dette de reconnaissance à l'égard de M.Oussikoun Bannasser, Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Beni-Mellal, qui a bien voulu accueillir et soutenir, tant sur le plan financier que logistique, la journée d'étude sur la bataille de Tazizaout où plus de 500 résistants sont tombés au champ d'honneur.

Nos remerciements vont aussi aux intervenants : M.Michael Peyron, M.Mohamed Oubougrine, M.Bassou Hamri, M.Houssa Yakoubi, M. Mohamed Laroussi ; et aux deux modérateurs des séances de la journée d'étude : M.Mohamed Lamli et M. Bassou Hamri.

Cette journée a été précédée d'une sortie exploratoire des membres de l'atelier des plaques signalétiques (Yassine Jamali et Ilham Chahi) sur les lieux de la bataille en 1932 et ce, dans l'intention d'y installer, dès que possible, une plaque commémorant cet événement. Nous remercions ces membres qui ont été derrière l'idée de l'organisation de cette journée.

Ocadd

الحملة . لدرجة أن زعيم زايان حسب Guillaume، أصبح يشك في نجاح العملية ، وطلب بفترة من الوقت لسحب المنهكين وتدعيم صفوفه بمطاربين جدد . وتبين للفرنسيين النتائج الخطيرة للفشل على مجموع منطقتي الأطلس المتوسط والأطلس الكبير . واضطرالجنرال De Loustal للذهاب الى الرباط لشرح الوضعية . وتم تبني خطة عسكرية جديدة تمثلت في :

- استمرار القصف بالطيران والمدفعية
- منع الاتصال بين المقاومين بتأكراوت وأيت حديدو
- تعبيد طريق جديدة لتسهيل عمليات تموين القوات.
- تدعيم القوات ببطاريات مدافع ورفق عسكرية تم جلبها من منطقة البحيرات.
- تجنيد 900 مغربي إضافي تم جلبهم من خنيفرة .
- تحديد مهام الفرق العسكرية بدقة .

وخلال الفترة الممتدة من 5 شتبر إلى 11 شتبر حدثت مجموعة من الاشتباكات الدامية ، حيث تمكنت قوات الاحتلال من التقدم في هذه المنطقة الوعرة والسيطرة على مواقع جديدة من بينها تافرا . وابتداءا من 7 شتبر، أصبحت مواقع المقاومين مكشوفة تحت رحمة نيران المدفعية والرشاشات . ومع تدهور الوضع أرسل سيدي المكي معوثيب للمطالبة بحقد هدنة ، لكن السلطات الفرنسية طلبت منه الاستسلام .

وقامت قوات الاحتلال بتنظيم هجوم كاسم ، شاركت فيه جميع الفرق، بالإضافة إلى الزبانيين وأيت صعروش . وتمكنوا من الوصول إلى مخيم سيدي المكي رغم المقاومة العنيفة وتم قتل المئات ، وأسر 300 مقاوم ونهب 5000 رأس من الماشية . وأدى هذا الهجوم إلى السيطرة على تآكراوت ووضع حد للمقاومة بهذه المنطقة (19).

ويأمر من سيدي المكي ، تقدم المقاومون بطلب الخضوع واستسلم سيدي المكي يوم 12 شتبر 1932، وفي يوم 13 شتبر تلقى الجنرال Huré، القائد الأعلى للقوات بالمغرب الاستسلام الرسمي لسيدي المكي . وقد راعى له الفرنسيون وجاهته وسعته فعيّنوه قائدا بأعباء نابت سخفان وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة 1942هـ (20).

وأدت هذه الحادثة إلى إضعاف روح المقاومة بمنطقة الأطلس الكبير وإلى حركة خضوع واسعة . واستشهد في هذه المعركة ثلاثة من أخوة سيدي المكي: المهدي والمصطفى والمرتضى . أما الخسائر البشرية فهي صفوف المقاومين فقدرت بالمئات. وقدر Guillaume الخسائر في اشتباكات أعدو وحدها ب500 قتيل.

أما خسائر قوات الاحتلال والمطاربة المشاركة في الحملة فكانت كما يلي:

Michael PEYRON – Université Al-Akhawayn

النظاميون: 6 قتلى و 55 جريحاً.
الجنود الاضافيون: 29 قتيلًا و 55 جريحاً
المغاربة: 76 قتيلًا 145 جريحاً.

وف بين النظاميين ثلاثة فرنسيين، ضابط وضابط للصف.

وختاماً، تعتبر معركة تازكراوت حدثاً بارزاً في تاريخ العلاقة بين المقاومة والمستعمر لنتائجها السياسية والاستراتيجية، وبهذا الصدد كتب Guillaume :

« تشكل تازكراوت، بنتائجها المباشرة وصدورها البعيد، أحد الأحداث الأكثر أهمية في تاريخ التمدد المغربية » (21). وتازكراوت هي آخر محطة في مقاومة أيت سيدي علي أمهاوش وأيت سخفان والتي ابتدأت منذ سنة 1908

Ô chagal d'Anergui, et toi, compère du Mourik, transportez-Vous vers Tafza ; contemplez l'incendie qui y fait rage !
ay ussèn n-wanangi, a wi n-muriq, aggat/
gɛt tfeza, a-tannaym aferran ay-digs-illan! (tamawayt)

[Prédiction apocalyptique attribuée à Sidi 'Ali Amhaouch]

Au début, il y avait une montagne. Une ride de plus dans cet océan de vagues figées que constitue le Haut Atlas oriental marocain. Pas une bien grande montagne ; simplement une longue arête rocheuse aux flancs drapés de cèdres, de chênes verts, clairement visible là-bas à l'horizon par beau temps depuis Azaghar Fal. Malgré une altitude modeste (2.767m) l'hiver elle était régulièrement ourlée de blanc. Ses forêts étaient hantées de singes sur lesquels les panthères de passage opéraient de périodiques prélèvements. « La verte », (Tazizaout) tel était le nom que lui donnaient les Imazighen de la région. Une réputation de bout du monde, de lieu austère aux sources rares se rattachait à cette zone frontrière, point de rencontre entre d'importants groupements berbères de haut mont : Ayt Yahya, Ayt Hadiddou, et Ayt Sokhman.

On ne sait trop comment mais les Imhiwach, marabouts tutélaires de ce coin de l'Atlas, en avaient eu connaissance. Sidi 'Ali Amhaouch, grand thaumaturge de la fin du XIX^e siècle, en dehors de ses résidences d'Aghbala, Bou Attas et Talat n-Ou 'Arab, y était probablement passé lors d'une de ses tournées dans l'arrière-pays. Il avait dû remonter l'Aqqa n-Zebzat, séjourner au hameau de Tafza, coïncé entre le Tazizaout et les pentes touffues du Bou Igheliasn. Lieu bucolique, propice à la contemplation soufie, avec son calme, ses pieds de vigne sauvage et d'aubépine, ses pruniers et buissons de mûres, ses deux sources : l'une d'eau douce, l'autre saumâtre. Si tel est le cas, il en aura ramené une impression de nature indomptée : enchevêtrement de crêtes boisées, broussailleuses ; de pentes abruptes, de ravins tortueux et de torrents fougueux, qui en

- Ayache-Germain, *Les Origines de la guerre du Rif*, 1988, p. 59 sq ; 1 cf. Rivet, D., *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc*, 1988, (1912-1925), Paris, 1988.
2. العروصي محمد، التدخّل العسكري، بتادلا والمناطق الجبلية المجاورة (1912_1916)، منشورات كلية الآداب، بذي مراك، 1992.
3. لخديبي علاء، التدخّل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1912-1894)، حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، إفريقيا/الشرق، 1991.
4. Lyautey, P., *Lyautey l'Africain. Textes et lettres du Maréchal Lyaut*, 4. ey. 4vol., Paris, 1953, 54.56.57.
5. Drague, G., *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, confréries et*, 155. zaouias, cahier de l'Afrique du Nord, Paris, 1950, p. 155.
6. Ibid., p. 159.
7. " عندما تسامع حديث هذه المعارك الجهادية في بوذنيب وناحيته وتظاير الركيات بخيرها الى الآفاق، ذب الشعور في ذوي الغيرة والوطنية وخاصة اعيان البرابير الأطلسية، ومن هؤلاء الشيخ البركة الوجيد سيدي علي بن المكي امهاوش الذي كان له صيت دائم في قبائل اشقرت وابت سخفات وبعض قبائل آيت يفلماك. فقام في هاته القبائل التي تصغي له، ويعتقدون بركته فاجتمع عليه منهم الجم الغفير، وجاء يقصد بهم معسكر المجاهدين من بوذنيب وناحيته حيث تجمعت جموع من الشرفاء وأهل تافيلالت في ناحية مضجرة... فجاء بدوف جدوى... فجاه سيدي علي امهاوش ومعهم جموع البرابير الأطلسية وخيم على الشرفاء أهل مضجرة... ونقل بدوف أي مقاومة تذكر له في هذا التاريخ "
- المنتصوري احمد، كباء العنبر من عطاء زيات والبربر، تحقيق محمد بن احسن، الرباط، 2004.
8. نفسه، هامش رقم 1، ص. 208.
9. Drague, Op. cit., p. 157.
10. Rivet, D., Op. Cit., p. 165.
11. Guillaume, A., *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas*, 11. central (1912-1933), Julliard, 1946, p. 360sq.

feraient un refuge parfait en cas d'urgence absolue. Au temps de la première guerre mondiale, alors que la menace chrétienne se précisait, une de ces prophéties apocalyptiques dont il avait le secret prenait forme dans l'esprit de Sidi 'Ali et prédisait que Tafza serait l'ultime réduit contre lequel viendraient buter en vain les colonnes françaises. Prophétie reprise à son compte après sa mort par son fils aîné Sidi Lmekki.

La sortie effectuée pendant l'été 2005 dans le Haut Atlas oriental marocain en compagnie de Houssa Yakobi de l'I.R.C.A.M., avait pour but de recueillir des témoignages vécus lors de la bataille de Tazizaout ; d'étudier le terrain afin de mieux comprendre le déroulement des événements ; d'assurer un reportage vidéo avec commentaires géo-historiques circonstanciés, tout en harmonisant cela avec les comptes-rendus de l'époque du Protectorat, principalement celui du général Guillaume, assez fiable dans les grandes lignes, mais non dépourvu d'une certaine confusion toponymique. Confusion dans laquelle, il est permis de le déclarer sans ambages, nous avons été amenés à voir plus clair au fil des jours et des témoignages. Une deuxième reconnaissance menée à la fin-mai 2006, et privilégiant l'Aqqa n-Zebzat, l'Iger n-Igenna et le massif de Tawjjaâout, devait apporter de précieuses précisions complémentaires.

Bien que les conditions météorologiques (orages ravageurs du 19 août 2005 ayant dévasté les cultures qui longent l'Assif n-Ougheddou et l'Assif n-Zebzat) nous aient privé du concours de certains membres de la population locale occupés à réparer leurs champs, nous avons par ailleurs obtenu la collaboration d'au moins cinq personnes dont les renseignements se sont avérés fort utiles : Sidi Moh Azayyi d'Asaka (Ayt Sidi Yahya ou Youssef), 64 ans ; le faqir Derqaoui Mhand ou Moulay (Agheddou, Ayt 'Ameur), 80 ans ; Ou Ben 'Ali (Bou Lemtel, Ayt Hsine), muletier de son état, 65 ans ; le faqir Lhajj Nasr Bouqebbou (Aghbala n-Ayt Sokhman), 91-92 ans ; et de 'Ali ou Hmad (Ikassen, Ayt 'Abdi), 97-98 ans. En nous appuyant sur les traces écrites autant que sur les données orales, nous avons pu reconstituer les faits marquants de cet épisode.

Concernant les circonstances ayant provoqué la bataille de Tazizaout, un rappel succinct des faits s'impose. Après la confrontation catastrophique des Ayt Ya'qoub au sud de Midelt en mai 1929, qui avait porté un coup certain au prestige militaire français, la résistance des Imazighen de l'Atlas marocain, appuyée sur des réseaux de contrebande d'armes fort efficaces, s'étaient fortement radicalisée. Depuis quel-

Drague, Op. Cit., p.159 .12

Guillaume, Op. Cit., p.360 .13

Ibidem.14

Ibid., p.362.15

Ibid., pp.365–366.16

Ibid., p.370.17

Ibid., p.372.18

Ibid., p.373 sq.19

المنصور، المصدر السابق، ص.20

Guillaume, Op. Cit., 392.21

ques années, privilégiant la pénétration pacifique et l'action politique, la conquête militaire avait marqué le pas. Toutefois, à partir de 1931, devant la menace du réarmement germanique, le haut commandement français tenait à écarter la réduction des ultimes poches de résistance au Maroc, ceci afin de libérer rapidement les contingents concernés en vue d'un re-déploiement éventuel sur le théâtre d'opérations européen. C'est dire que les opérations de pacification allaient passer à la vitesse supérieure et que toute résistance dépassant le cadre du simple « baroud d'honneur » seraient impitoyablement écrasées.

Or, sur les flancs tapissés de buis, de chênes verts et de cèdres du Tazizaout dans l'arrière-pays de Tounfit, s'était constitué pendant l'été 1932 la « poche de l'Agheddou », vaste rassemblement de guerriers bien armés, réunissant Ayt Sokhman, Ayt Ameur, Ayt Yahya, Ichqern et autres éléments, dont certains déserteurs de formations « indigènes » sans parler des irréductibles du Moyen-Atlas qui, avec familles et troupes, se repliaient depuis des années devant l'avance française. Le tout sous la coupe de Sidi Lmekki – héritier de Sidi 'Ali Amhaouch – qui, grâce à une cartouche magique héritée de son père, se faisait fort de délivrer les populations de l'emprise du Roumi. Devant leur volonté d'en découdre, compte tenu aussi de la façon dont ils avaient aménagé un système d'emplacement de combats camouflés, enterrés, avec postes de garde occupés nuit et jour, il était clair que la « casse » allait être sévère.

Les résistants s'étaient regroupés sensiblement en quatre zones : la zone A (pour reprendre la désignation de Guillaume), sur les pentes sud-ouest du Tazizaout ; la zone B, rive gauche de l'Aqqa n-Zebzbat (ou Aqqa n-Ouidamen), comptant principalement des Ayt Sokhman, avec un fort parti tenant la crête de Tawjjaâout (2.501m), les autres étant répartis dans deux ravins boisés de art et d'autre de l'arête du Zourk-helad, l'abri de Sidi Lmekki (au début des opérations, tout au moins) se situant dans l'Aqqa n-Msefergh ; la zone C, la plus circonscrite, dans l'Aqqa n-Ouchlou, débouchant sur le confluent Agheddou/Zebzbat ; la zone D, sur les flancs nord-ouest du Tazizaout, boisés de cèdres, comptant essentiellement des combattants des Ayt Yahya et des Ayt 'Ameur sous le commandement d'un battant, Sidi Lmortada, l'un des frères de Sidi Lmekki. Un autre frère, également du style marabout-guerrier, du nom de Sidi Mhand El Mehdi, occupait un emplacement privilégié au pied d'un grand cèdre (itgel n-tzawt, voire itgel amejjjal) sur l'arête maîtresse du Tazizaout. Par leur comportement pendant le

siège, ces deux frères feront taire la légende qui veut que les marabouts aient été des gens de prière plutôt que de poudre. Ceux-là, en particulier, firent preuve d'un courage exemplaire. Tous les combattants disposaient d'armes à tir rapide et de munitions à profusion ; en outre, le site compte plusieurs sources d'eau potable ; en revanche, si leur bétail garantissait un régime carné convenable, la farine faisait cruellement défaut du fait qu'ils n'avaient guère eu le temps de récolter leurs champs.

Face à eux s'alignaient les vieux briscards de l'Armée d'Afrique : unités de Légion, Tirailleurs algériens et marocains, sans compter les goums et partisans (Ichqern, Ayt Seghrouchen et Izayyan) ; au moins cinq batteries de 65 m/m de montagne transportables à dos de mulet et installés sur l'Agerd n-Oulghoum et le Tasaout n-Ouidammen ; des pièces de 75 m/m hissées de vive force sur le Bou Genfou à proximité de Sidi Ameer u Halli, ainsi que l'escadrille de bombardement du Tadla au grand complet, basée sur Beni Mellal. L'ensemble des unités terrestres françaises était réparti en deux groupes mobiles : celui du Tadla avançant depuis l'ouest et le sud-ouest sous le commandement du général de Loustal, avec Tassent comme base arrière ; celui de Meknès, aux ordres du général Dubuisson, suivant la dorsale du Tazizaout depuis la région Anefgou/Tirghist.

L'action se déroula selon trois phases. Une première phase, du 21 au 24 août, fut marquée par l'échec de tentatives françaises pour en finir rapidement par contournement et encerclment des positions tenues par les résistants. Ainsi, les partisans zaïans du G.M. du Tadla, attaquant depuis le plateau des Lacs, tombèrent sur une résistance acharnée en abordant les hauteurs du Tawijaâout (crête n° 1 de Guillaume) et furent stoppés net. Pire, ayant subis des pertes inattendues, ils durent être relevés et renvoyés vers l'arrière. Simultanément, bien que s'étant emparés du rocher de Tazra n-Ismekh, rive droite de l'Asif n-Ougheddou, des goums et Tirailleurs du G.M. de Meknès se trouvèrent en butte à une résistance opiniâtre au confluent Agheddou/Zebzbat, ainsi que sur l'arête même du Tazizaout, et dans l'impossibilité de poursuivre plus avant.

S'ensuivit une accalmie de plus d'une semaine, marquée par des tirs d'artillerie dont les obus fracassaient les rochers, et le ballet incessant des avions de bombardement qui faisait de nombreuses victimes chez les résistants et leurs familles. Période pendant laquelle les grands chefs, conscients d'avoir sous-estimé la résistance qui s'opposait à eux, se réunissaient à l'état-major de Rabat, prenaient de nouvelles mesures, ache-minaient des renforts.

C'est vraisemblablement pendant cette période que Sidi Elmortada fut tué par une bombe d'avion dans la zone D ; sa tombe en bois est adossée aux fameux « Piton des Cèdres », lequel devait bientôt faire parler de lui.

On peut ensuite distinguer une deuxième phase allant du 4 au 7 septembre. Après une attaque facilement déjouée des Ayt Hadiddou sur le plateau des Lacs le 4 septembre, le lendemain des éléments du G.M. du Tadla investissaient les abords ouest du Takouchtamt. Le 7 septembre une attaque concertée permettait aux supplétifs du G.M. du Tadla de prendre pied sur l'arête de l'Amalou n-Tezra (crête n° 2 de Guillaume) d'où ils dominaient les campements de l'Aqqa n-Msefegh, lesquels étaient nettoyés peu de temps après malgré une résistance désespérée.

Sidi Lmekki, cependant, parvenait à s'enfuir et à trouver refuge : 1° de façon temporaire à côté de Tafza dans l'Aqqa n-'Ali ou Zayd ; 2° de manière plus précaire dans l'Aqqa n-Ouchlou, mais de façon à mieux exercer son commandement tant que cela sera possible. Il s'y maintiendra jusqu'à sa reddition.

Entretemps, les éléments du G.M. de Meknes, eux, se heurtaient à une résistance grandissante sur l'arête du Tazizaout et essayaient des pertes. Dans la nuit du 6/7 septembre un de leurs éléments avancés s'étant emparé du « Piton des Cèdres », tout près du réduit suprême des résistants, en fut délogé par les injuhad avec pertes et fracas au petit jour, perdant deux fusils-mitrailleurs et des munitions dans l'affaire. Il est probable que l'exemple de Sidi Mhand El Mehdi, qui galvanisait la résistance dans le secteur, ne fut pas étranger à ce succès. Par ailleurs, nous n'avons pas encore pu établir avec certitude le lien entre cette capture de deux F.M. et la geste du combattant Ichqern, Ahaqqar, figure de légende, qui à lui seul et dans un secteur proche, balayait tout le versant nord-ouest du Tazizaout du tir de sa mitrailleuse, tout au moins pendant la phase suprême des combats.

On distingue, enfin, du 8 au 13 septembre la phase ultime du drame. Le 8, sur l'arête du Tazizaout, le G.M. de Meknes doit faire face, tout au long de la journée, aux contre-attaques des résistants. Pendant ce temps-là, les derniers campements de la zone B sont submergés ; affrontements impitoyables, à l'arme blanche, avec grenade à main et à fusil. Les résistants éprouvent des pertes terribles ; les survivants, avec leurs troupeaux, gagnent péniblement les flancs du Tazizaout. Alors que les chefs français déclarent vouloir minimiser le nombre de

victimes, le jusqu'au-boutisme des résistants, ainsi que la violence de l'action engagée, laissent en réalité une faible place à l'humanisme. Tout va se jouer le 11 septembre. Ce jour-là, les campements de la zone A sont réduits, occasionnant de durs combats rapprochés, alors que des éléments des deux G.M. occupent l'extrémité ouest du Tazizaout. Quittant son perchoir sous le cèdre qui coiffe l'arête faîtière, et ceci sur le conseil de ses proches qui jugeaient l'emplacement trop risqué, Sidi Mhand El Mehdi meurt en héros, fauché en contre bas, versant nord, par une balle de Lebel alors qu'il fait le coupe de feu contre des goumiers et légionnaires du G.M. de Meknès. Le 12, Sidi Lmekki sort enfin de sa cachette d'Achlou et négocie sa reddition, mettant ainsi un terme à l'inutile carnage.

Le lendemain, le marabout se soumet au commandant en chef, le général Huré. Nommé par la suite caïd des Ayt Sokhman (mesure inattendue, ou calcul stratégique ? – la question mérite d'être posée), il en deviendra, du coup, un objet de moquerie de la part des bardes locaux. Entre-temps, quelques combattants courageux parviennent à rompre l'encerclement en direction du sud-est ; ils participeront l'an suivant aux ultimes barouds du Hamdoun, d'Aghbalou n-Kerdous, du Baddou.

Au terme de la bataille, atteint, comme beaucoup d'autres arbres, par des éclats d'obus et de bombe, le cèdre de Sidi Mhand El Mehdi dépérit. On annonce même sa mort prochaine. Puis, au lendemain de l'indépendance du Maroc, miraculeusement, il reverdit. Il devient alors le cèdre sacré du Tazizaout, objet d'un pèlerinage annuel le 24 août de la part des gens du pays, qui, mieux que tout corps constitué, savent par un fonctionnement dévoué et confidentiel honorer dignement leurs morts, procédant à l'aménagement de cimetières, de sources, de cabanes pour des pèlerins qui viennent depuis le Tadla, de façon à garantir aux lieux la part de sainteté qui leur revient de plein droit. Quant à la forêt qui drapait les flancs du Tassameurt n-Ouhaqqar, et du « Piron des Cèdres », elle est devenue, pour les oiseaux, un paradis ; la mésange, l'aigle de Bonelli, le pic-vert et le pic épeiche y font entendre leur cri.



Didactique	Explications fournies spontanément sur : le choix des abris, la durée des combats et les changements de mode de vie	3,46
Autobiographique	1. Références explicites à l'âge 2. Récits de vie où le «je » est assumé	3,03
Satyrique	Ensemble de poèmes critiquant Sidi Lmekki et les poltrons parmi les Ayt Sokhmane (Cf. Tawegrat & Tawexettalt)	2,59
Ecologique	Références à l'environnement naturel du site de Tazizawt	1,29
Humoristique	Poème sur l'absence de réseau et l'absence de ressources...	0,43
Philosophique	Réflexion sur l'existence	0,43
Personnelle	Témoignage du documentariste après la première visite du site	0,43



Documentaire/ Tazizawt

Dominantes

La richesse des enregistrements filmiques effectués ne permet pas d'exposer l'ensemble des thèmes abordés. Les thèmes les plus récurrents sont regroupés en termes de dominantes dans le tableau suivant

Dominantes	Contenu filmique	Fréquence (%)
Historique	1. Références à des lieux et dates à confronter avec les documents écrits (Cf. Drouin, Guillaume, Peyron) 2. Composition des assaillants et des résistants	26,40
Hagiographique	1. Références aux Ayt Sidi Ali (Igourramen) et à leur « baraka » 2. Miracles : Sidi Chiekh bu qabrayen nb : dominante à mettre en // avec la composante mystique.	12,12
Epique	1. Poésie essentiellement féminine vantant le courage des résistants 2. Joutes acerbes destinées aux « consignés » et aux troupes françaises	9,52
Stratégique	1. Actions coordonnées entre les postes de bombardement 2. Occupation progressive du terrain 3. Techniques de survie 4. Conseils et/ou avertissements adressés aux résistants	9,09
Tragique	1. Témoinages insoutenables sur les atrocités des bombardements 2. Enfants traumatisés	9,09
Méthodologique	1. Technique de collecte 2. Choix des ressources humaines et matérielles	6,49
Topographique	1. Références au milieu physique 2. Rôle de la toponymie dans l'épopée 3. Etat des lieux : tombes et abris	6,06
Lyrique	Sentiments intimes exprimés à travers des joutes formellement soignées	6,06
Mystique	1. Exaltation de la foi 2. Référence à l'exode (« hijer » dans les documents filmés) Nb. A mettre en // avec la composante hagiographique	3,46

MERCREDI 14 SEPTEMBRE 1932 :

REDDITION DE SIDI EL MEKKI

Mohamed Ou Bougrine

Introduction

Si l'histoire officielle nationale ne parle de tazgzaout que rarement, l'armée française la décrit dans ses moindres détails et la considère comme l'une des batailles les plus atroces. D'ailleurs, la glorieuse bataille continue de vivre dans la mémoire collective orale. La journée d'étude qui lui a été réservée a pour but de déconstruire afin de reconstituer la réalité historique pour réhabiliter nos martyrs. Evidemment, on ne peut comprendre certains événements si on ne connaît pas le rôle du chef Sidi El Mekki ou celui de ses glorieux ancêtres comme Sidi Ou Boubcher Amhaouch ou Sidi Ali Amhaouch dans la direction de la fédération des Ait Oumalou et particulièrement des Ait Sokhmane de l'est. L'élaboration de l'arbre généalogique de la Zaouia des Ait Sidi Ali ou Hssain Amhaouch devient nécessaire pour élucider certains événements.

La colonisation du territoire des Ait Sokhmane

Les Ait sokhmane du Sud-Ouest, c'est-à-dire les Ait Daoud ou Ali de Taguelft et les Ait Saïd ou Ali de Foum el Anceur, obéissaient à la Zaouia des Ihansalen de Tamga et d'Askar sous la conduite du glorieux Sidi Hsaine ou Tamga. Tandis que les Ait Sokhmane du Nord-Est, c'est-à-dire les Ait Hmama et les Ait Abdi, sont dirigés par les marabouts Ait Sidi Ali Amhouch de la Zaouia de Bou-Ouattras, située à l'est d'Aghbala.¹

Pour résister à l'envahisseur, Sidi El Mekki faisait des prophéties pour donner l'espoir aux moujahidin et relever leur moral. Et comme elles ne se réalisaient pas, la réaction de certains fidèles ne tarda pas à se ma-

nifester. La **propagande** de l'ennemi envénimait la situation et les brèches s'ouvraient dans les rangs de la résistance. Les poètes de la collaboration réfutaient ces prophéties l'une après l'autre afin de discréditer le marabout.

Sidi El Mekki, par exemple, annonçait que les Imahzane, c'est-à-dire la famille de Moha ou Hammou Zayaniet leurs cousins, ne fouleraient le sol des Ait Sokhmane, mais la bataille de Tagouzalt² du 27 mars 1923 le démentit. Pour réfuter cette prophétie, le poète chanta ces deux vers :

« **Ayi gouramm n'Bou Ouattas³ ighddarr
Issi thnnam ourd ttaoudhan imahzan** »

(Oh marabouts traîtres de Bou Ouattas

vous m'avez dit que les Imahzan ne mettraient pas les pieds ici).

Aussi, pour relater la mort accidentelle de Sidi Cheikh à Tagouzalt, le poète chanta :

« **Amays n'Sidi chikh ddou gam tawoucht ali s'anoual n'Moulay hmad
ar thallamth** »

(O mère de Sidi cheikh, fais comme le hibou et monte vers la chaumière (anoual) de Moulay Hmad en pleurant.)

Ici, le poète cite le hibou et Moulay Hmad n'Hassan parce que le hibou fréquente les cimetières et les édifices en ruines et symbolise le deuil. Quant à Moulay Hmad n'Hassan, il est le tueur du fils de la femme à laquelle s'adresse le poème.

Sidi El Mekki annonçait aux siens qu'il se distraira des Roumi, ce qui fait dire au poète le contraire de la prophétie :

« **Innaoun Sidi El Mekki Adda sikh arrauou n'Idan adiss n'lahakh
Aghoul warrauou n'Idan asind sidi El Mekki adissène lahane** »

(Sidi El Mekki vous dit qu'il apporterait les fils de chiens⁴ pour s'en distraire, mais les fils de chiens l'ont apporté et l'ont tourné en dérision).

Après l'occupation d'Aghbala et la progression des troupes coloniales en territoire Ait Sokhman Sidi El Mekki continuait à annoncer des prophéties qui ne se réalisaient pas. Il disait que l'ennemi ne traverserait pas le fleuve d'Ouirine. Mais dans la nuit du 14 au 15 juillet

Samedi : Départ à Ayt Sidi Hsine pour recruter un guide et deux mu-
letiers

Dimanche : Repérage à partir de Tanaghmast

Lundi : Feu vert de la Wilaya grâce à l'intervention de Monsieur le Se-
crétaire Général de l'IRCAM.

Mardi : séance d'enregistrement du poète Lahcen Aâourag.

Mercredi : séance d'enregistrement de l'artiste Abderrahim Hamza et
organisation du départ pour tazizawt

Jeudi : départ et retour suivant l'itinéraire : Aghbala-Ikassen-Tazizawt-Sidi
Aâmer Ou Hellou-Ikassen-Aghbala.

Vendredi : Enregistrement des poètes à Ayt Sidi Hsine, Azaghar Far et
Aghbala

Samedi : Retour

5. Itinéraire détaillé

• Aghbala - Ayt Sidi Hsine (40 km de route goudronnée) : départ à six
heures pour photographier les cimes de Bab n waggad sous la lumière
matinale

• Ayt Sidi Hsine :randonnée à dos de mulets et collecte des quelques
renseignements relatifs à la faune et à la flore. La vallée se caractérise par
l'absence de lentisque et de caroubier et, en amont, par l'apparition de quel-
ques genévriers rabougris . Selon notre guide, la chasse intensive et le bra-
connage ont obligé les perdrix à modifier leur technique de camouflage
en nichant au cœur des arbustes !

• Tasawent n lalimu : la traversée du col enneigé débouche sur quelques
lopins de cultures céréalières (orge notamment) et un point de vue pano-
ramique d'où il est possible de filmer les sommets de Tanaghmast, Bab
n waggad, Iger n y'igenna ; c'est à dire une partie des chaînes séparant
le territoire Ayt Hdiddou (Haut Atlas Oriental) et le territoire Ayt
Soukhan (Moyen Atlas).

2. Etats de mémoire (repères)

TEMOIN	Etats de la mémoire
Faqr darqawi	Traumatisme remontant à l'enfance. Souvenirs réactifs par les cérémonies de commémoration.
Ali Ouhmad	Focalisation sur la mort de la mère et le sanq (asif wi-dammen)
Lhaj Nacer	Lacunes liées à l'âge. Souvenirs dominés par la dimension hagiographique
Ali Oubebali	Mémorisation impressionnante des poèmes de la région. Trous de mémoire probablement induits par la présence de la caméra

3. Le choix des personnes enregistrées

Le choix des personnes enregistrées obéit aux critères suivants :

Age : témoins oculaires de la bataille de Tazizawt ;

Mémoire : poètes ou toute personne capable de réciter des poèmes sur la résistance ;

Maîtrise des parlers : Ayt suxman, ayt yhya, ayt hdiddu, ayt wirra, iziyyan et icqeren.

Participation au pèlerinage de Tazizawt.

4. Le déroulement de la collecte

Lundi 23 février : départ Rabat-Aghbala.

Mardi : prise de contact avec les autorités locales d'Aghbala pour l'obtention de la permission de tournage.

Mercredi (jour de souk) : contacts avec les poètes et les muletiers

Jeudi à vendredi : tractations pour obtenir le feu vert de la Wilaya de Tadla-Azilal

1931, les troupes franchissent l'oued El Abid (Ouirine), derrière les auxiliaires ; elles occupent l'Ahmadou Tamguist, l'Assatour et la tête de pont de Cherket sur un front de 30 km (voir le colonel Voinot, p. 363).

La traversée de l'Ouirine porta un coup au crédit de Sidi El Mekki. Le poète Sokhmani fit le constat de cette traversée à travers ces deux vers :

**Awa Ayda chnegh indoud iydi Ouirine
awa aydach nnigh our as ijré Walou**

(Oh ! combien de fois je te disais que le chien avait traversé le fleuve Ouirine

Et combien de fois je te disais que rien ne lui fut arrivé)

(aucun mal ne l'avait atteint)

Situation géographique de Tazzaout

Elle est située à la limite de trois territoires Tounfit – Aghbala et Imilchil, dans le caïdat de Tounfit près du ksar Agheddou, juste au confluent de l'Oued Zebzat (Assif n'idammène) et l'Oued Agheddou. Elle est limitrophe des Ait Sidi Hsine d'Aghbala et Adossée au haut Atlas oriental.

Sens du mot Tazzaout

Les tribus de dialecte «Midoulin» c'est-à-dire du territoire situé entre Azrou et Zaouiât Ait Ishaq le prononce ainsi : Tazizaout. Mais le reste des Imazighène le prononce correctement avec un «t» emphatique et un «g» mou : Thazgzouth (en arabe et amazigh).

Thazgzouth signifie : «la verdoyante» ou «la verte» tirée du mot «thizzgzouth» qui veut dire «la verdure» qui donne au masculin «azgzou» (vert) et au féminin Thazgzouth (verte). A noter que la zone de Tazizaout est le pays de la cédraie. Certains cèdres y atteignent 50 mètres de hauteur et 10 m de circonférence.

La bataille de Tazzaout et les opérations militaires

Tazizaout est la deuxième bataille en importance, après la guerre du Rif, un des six points soumis au blocus au Maroc et où la lutte était très acharnée. A Tazizaout il y avait un vrai génocide. Pendant 32

LA BATAILLE DE TAZIZAOUT «TROUS DE MÉMOIRE»

Houssa Yakobi

jours elle a été soumise aux bombardements des deux escadrilles d'avions qui faisaient la navette entre le lieu des combats et kasba-Tadla via tizi n'Isli ou un terrain dit « laâdi n'Tayara » a été aménagé pour effectuer des vols et des atterrissages en montagne.

L'artillerie placée sur Bou-guenfou au Nord en face de Tazizaout bombardait les positions de la résistance. Les vieillards, Les femmes et les enfants étaient mis à l'arbi dans des grottes naturelles ou artificielles.

Les irréductibles qui avaient regagné Sidi El Mekki creusaient des tranchées et des galeries avec beaucoup de zèle et luttaient avec acharnement.

L'enjeu de cette bataille attise l'ardeur des billégerants. Pour eux, Tazizaout constituait une question de vie ou de mort : les troupes françaises craignaient toute atteinte à leur prestige ; le caïd Amahroq et ses zaïans voulaient élargir le territoire de leur commandement aux dépens de leurs ennemis jurés (les Aït Sidi Ali) avec leurs alliés Aït Sokhmane. Aït sokhmane craignaient des représailles de la part des Zaïan en cas de défaite. Les Zaïn représentaient le clan opposé aux Aït Oumalou. La guerre de 1909 d'Azrou n'Aït Lahcen à l'est d'Ekbab opposant Sidi Ali Amhaouch à la tête des Aït Oumalou au caïd Moha ou Hammou Zayani est encore vivace dans les esprits.

L'offensive répétée de la résistance et les grosses pertes dans les rangs zayan condamna les troupes françaises à changer quatre fois de tactique et à arrêter temporairement les hostilités pour conquérir les environs et barrer la route à tous secours dont pouvait profiter la résistance. L'état se serrait de jour en jour autour des moudjahidin affamés qui sortaient de nuit pour voler leurs champs afin de récolter quelques gerbes pour leur survie. Les bébés étaient leurs mères mortes.

Encerclée de tous les côtés, la résistance livra ses derniers combats avant de demander l'arrêt des hostilités et les négociations traînèrent une semaine.

Après avoir conduit à la catastrophe les siens, Sidi El Mekki donna l'ordre à Bouaanane⁵ de hisser un tissu blanc qui n'était autre que la chemise du marabout, en signe de reddition. Le feu cessa et le caïd Amahroq accourut avec ses cavaliers et fantassins, remit le cheval d'un mokhazni zaïan à Sidi El Mekki, et regagnèrent tous Aghba-

1. Surtitres (corpus)

(1) Ikka-d urumi, iâlem rebbi, tami awk i ddunit (« l'occupant a, sans doute, cerné notre univers »), Faqir darqawi. Témoin oculaire.

(2) Tennayawen Tawejjaâutt mrid i iziyyan, mas gher add yali ghuri igdi buiferghusen (« Tawejjaâutt vous dit : sans le concours des Zayans, je n'aurais pas été foulée par les brodequins du chien »), Ali Ouhmad, 95 ans ? poète et témoin oculaire, Ayt Sidi Hsine

(3) Llan izlan, llan izlan, ica rebbi izlan (« il y a des poèmes, il y a des poèmes : ce ne sont pas les poèmes qui manquent »), Ali Ouhmad

(4) Amm icerwan ixla u zucenni g tseddiyyin (« tels des agneaux décimés par le thym dans l'enclos »), Lhaj Nacer Bougebbou, 93 ans, faqir, témoin oculaire, Aghbala N Ayt Sokhmane

(5) Adday serfen ighsan, iserf awed lâeql (« quand les os se vident de leur moelle, la mémoire se vide à son tour »), Lhaj Nacer

(6) Mayd ttinigh a rebbi ? (« que dois-je dire, Ô mon Dieu ? »), Ali Oubenâli, 56 ans, berger, Tazizawt

(7) A rebbi xu yax zella cehatt (« mon Dieu, aidez-nous à ne pas oublier l'ultime acte de foi »), Lhaj Nacer

(8) Adday hfugh ur tamezegh amm rrezo, waxxa dayi tekkat ur da ttafatcan ineghmisen digi (« Quand je suis rongé par la misère, je ne communique plus tel un appareil hors réseau »), Ali Oubenâli

x^wlant wulli x^wlan ilég^w man x^wlan izzyarr nzeryin g- tizi (V18)

Et pour traduire la profondeur de la blessure, le poète émet un regret, celui d'une époque perdue, une époque révolue, celle de sa liberté, celle des moments où il était maître de lui-même et roi dans ses montagnes où sa propre force le protégeait. Aujourd'hui, il est soumis à un pouvoir qui l'écrase physiquement et moralement. Il est soumis au Makhzen qui a légué son pouvoir à ceux qui ne le méritent pas, ceux qui humilient les « vrais hommes », les braves d'antan, et qui honorent les minables. Il crie donc rageusement cette situation perverse où les rôles sont inversés :

a fad n-dilli- g dattawix ixf walušem a tameēñañ nniḡ-i(V25)

assa da-yi ykkat umxezni ar-as ttenix sidi sidi wrt i gin (V26)

Aujourd'hui les dignitaires de jadis sont devenus, par la perversité de la situation, la risée des minables, des vauriens. Mais cette blessure est à la fois physique et morale car elle ne se contente pas de malmenier les corps mais aussi de bouleverser un ordre social constituant la trame d'une entité enracinée et persistante grâce à un ensemble d'us et de coutumes longtemps défendues. Cette force extérieure que constitue l'occupant français vient pénétrer cet enclos où tout commence à s'effriter.

Cependant, dans cette représentation, dont on a déjà dit qu'elle était presque théâtralisée, une voix s'élève subitement de l'intérieur du poète et l'invite à se rendre à l'évidence. Cette voix l'invite à regarder les faits en face et à juger sagement les actes de Sidi El Mekki, à les voir sous un autre angle : ce personnage entaché de toute sorte de ridicule et auquel on a fait tant de reproches n'avait-il pas finalement raison ? Sa décision de se rendre ne constituait-elle pas la sagesse d'un grand chef ? Sa soumission, sa volte-face ne méritent-elles pas une réflexion très profonde pour en saisir l'essence et la vraie portée ?

la où le lendemain il confirma sa reddition devant le général Huré.

Les irréductibles, qui refusèrent de se soumettre, abandonnèrent leurs troupes et regagnèrent les autres points de résistance, notamment Baddou et Hamdoun dans le Haut Atlas. Certains de ceux qui étaient demandés par les troupes coloniales ont été mis aux fers et conduits à coups de bâton vers Aghbala parce qu'ils refusaient de marcher. Chaqui J Abdeslam des Masghouna en était un exemple.

Le choc de la défaite et de la reddition en particulier a été dur. A l'annonce du cessez-le-feu, les femmes formèrent un cercle et se grattèrent le visage à sang en signe de deuil. Les gens se demandaient : « pourquoi se soumettre, après tant de sacrifices, de souffrances et de résistance héroïque ?! »

C'est ainsi que se termina cette glorieuse résistance par la défaite de Tazizaout le mercredi 14 septembre 1932 correspondant au 11 doulhijja 1350.

Tazizaout dans la mémoire collective orale

Le poète des Ait Yahya décrit la situation lamentable vécue à Tazizaout comme suit :

«Adam âaqelkh a thazgzaouth amm guerra,
thenna gd ijamâa ouroumi lqbelt d'ouzaghgar,

Ilig da n'ssa amane izgar d'woulli,

Arallan lwachoun khf oughroum d'woutchi »

(Je me rappellerai la guerre de thazgzaouth où le roumi a rassemblé les gens de l'est et ceux de la plaine là où nous buvions de l'eau mêlée d'urine des vaches et des brebis et où les enfants demandaient du pain en pleurant).

Au cours de la nuit ayant précédé la défaite, la lune s'était éclipcée. Ce concours de circonstances fit chanter le poète qui s'exprima par ces deux vers :

«Ar ttinigh mas imskh awd wayour kouddoulin ur ssuddin
zzigh Ait Sidi Ali ayd gane iroumine thifaout d'imarchidane⁶»

Le poète, ici établit le lien entre la défaite de thazgzaouh et l'éclipse de lune.

(Je me suis demandé pourquoi la lune s'est éclip­sée, c'est parce que les Roumi ont fait des Ait Sidi Ali leur festin matinal.)

Dénigrement de Sidi El Mekki Amhaouch

Déçu, le poète vilipenda le marabout par ces vers :

**«Ishalléle Sidi El Mekki arakh trinin ha loqt ttowdh diyi
Zzikh ttawarguit ayd warguen adhig lqaid yakéne mojour»**

(Sidi El Mekki nous a menti quand il disait qu'il était l'homme providentiel, alors qu'en réalité, il rêvait d'être caïd qui donne le bonjour).

La justification des résistants pour cette soumission forcée après tant de sacrifices fit dire au poète :

**«awayd youfan Sidi Rabbi adits imlaqay ggan Oukhaubi
Mchi enna Mass d tsalhm inighass is thaddid ourakh ttouguid !»**

(Oh si je pouvais rencontrer Dieu dans l'une de ces grottes⁷, s'il me demandait pourquoi nous nous étions rendus, je lui dirais c'est parce que tu ne nous a pas aidé).

Le poète avait employé l'expression « tu es parti et tu ne nous a pas rendu visite). Toujours pour se justifie, le poète du front des Ait sokhmane s'exprimait ainsi :

**«zzikh tta diste ami yasha lqawil ma taounguint wahi,
Mchi yangha laz walabadda thnagh att guer thakhaddaath digui ! »**

(C'est l'estomac qui a toujours raison et non la conscience, car la faim me pousse à être malhonnête.)

umma nekkim iffinn ug^vram allig iġġa wass pmun imudil (V16)

Dans le sens dénотatif, seuls les moutons mal gardés risquent cette maladie survenant au printemps à cause de la rosée matinale et dont la règle consiste pour les éleveurs à les enfermer leur troupeaux jusqu'à l'évaporation totale de toutes les gouttelettes de la rosée printanière dans les pâturages, c'est-à-dire qu'il faut éviter de faire paître ses moutons tôt le matin.

Dans le sens connotatif, le vocable « pasteur » dans son double sens de berger et de prêtre, est magnifiquement exploité par le poète qui veut se déculpabiliser et qui clame, à travers cette image, son innocence faite de naïveté et de candeur. Il transpose l'image du saint Marabout, *oXOOoL* en tant que guide et gardien de la foi, vers celle du berger qui a, pendant longtemps, éloigné son troupeau des pâturages insalubres.

Dans sa deuxième isotopie, on comprend bien que le marabout, le pasteur (dans son sens religieux), a éloigné, autant que possible, ses fidèles des mécréants et leur a, de ce fait, permis de garder inaltérée leur foi et a veillé à la pureté de leur âme. Le poète rejette ainsi toute responsabilité de ce qui lui arrive après sa soumission forcée : il a fui derrière Sidi El Mekki, a combattu avec acharnement et a inlassablement résisté. Que Dieu en soit témoin ! Il n'est pas parmi les premiers rendus, ceux ayant répondu au premier appel du Chrétien : lui, il est le dernier à se rendre, à se soumettre ; il est venu ou plutôt revenu lorsque pour lui, il n'y a plus de refuge et sa foi est suffisamment consolidée :

irġa wass pmun imudil (V16)

Le compte en est ainsi rendu dans un champ sémantique fait de métaphores filées empruntées au monde rural et rustique : « je suis venu lorsque le jour s'est bien levé, quand le soleil est déjà chaud ainsi que la forêt même malgré ses ombrages », c'est-à-dire lorsque la guerre des positions a eu lieu.

Pour justifier davantage cette innocence et la miséricorde divine à laquelle il aspire, il (le poète) retrace le martyre qu'il a vécu : les bombardements intenses dont il était la cible, l'extermination totale de son bétail et la perte de tous ses biens :

tut-i ffeyyaġa s,beġx-as-i-laz ġġan lanfid, aqġesmiġ nmig-i(V17)

Il évoque donc Tazizaout, non seulement comme simple lieu, mais comme un symbole de résistance, où la détermination était sa véritable arme, vu l'inégalité des forces mais où les chances étaient presque égales de par la foi et la croyance en une victoire jugée acquise *a priori* de par leur statut de moudjahiddines que leur attribuait Sidi El Mekki.

Le poète décrit le siège, décrit l'ampleur des combats, non pas pour faire de l'histoire, mais pour contrarier celle-ci, pour montrer cette souffrance qu'aucun historien, si objectif soit-il, n'aurait pu décrire avec fidélité.

Les bourdonnements des combats les tiennent toujours attachés à cet endroit et de là à un temps, à un moment, à une tranche importante de l'histoire du pays :

unna izĒan aklu adur is,exs,aĒ i usexman awal nna gran (VI)

Mais Tazizaout, c'est aussi une fin, un tournant décisif dans la vie aux yeux du poète. Tazizaout est tombée et c'est la fin de tout un parcours ; c'est le début d'une ère avec tout son impact sur la vie d'un peuple. La vie du poète n'est désormais que deuil et tristesse (vers 11) et aucun événement, si heureux soit-il, n'éveillera plus désormais son enthousiasme à la joie et à la fête.

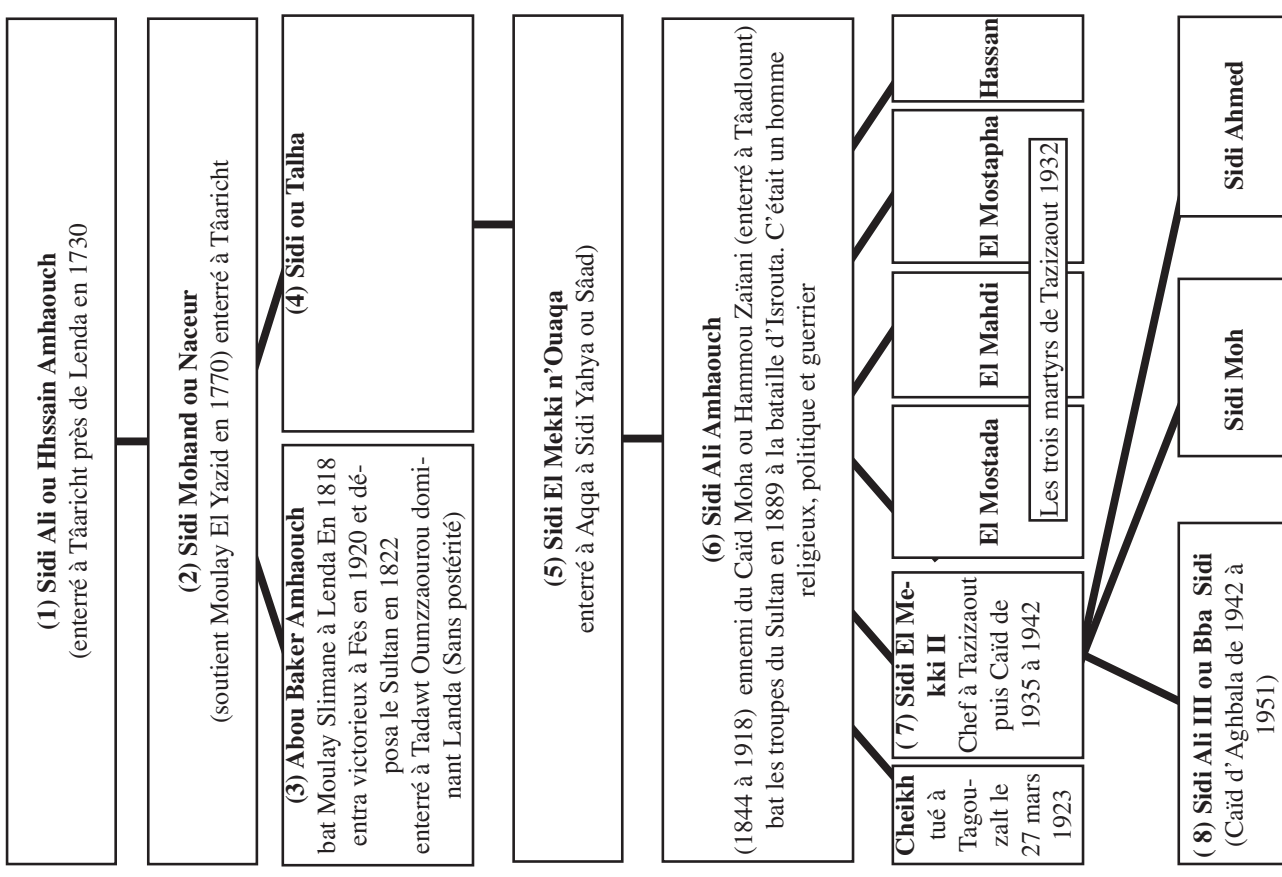
Après ces cris de tristesse et d'amertume, le poète veut se justifier vis-à-vis de Dieu auquel il se résigne et qu'il prend en témoin pour se laver de toute compromission avec l'ennemi qu'il côtoie désormais dans son quotidien. Il l'implore pour que sa foi soit considérée dans sa pureté, intacte et inébranlable ; il veut tant camper dans sa position de croyant imperturbable pour ainsi être parmi les élus de Dieu, ceux qui échappent aux supplices de l'enfer :

ur axed yiwi wbarrad ula lmpibba -llmal a rebbi is di ddx bla ġeĒEada (V13)

Mis devant le fait accompli, il implore donc la miséricorde divine. Et de cette miséricorde divine, il en est presque sûr. Il le dit en usant d'une expression très imagée que seuls les initiés peuvent saisir dans sa profondeur. Cette image puisée dans le monde pastoral est à comprendre d'ailleurs dans un double registre :

ur da yttasi lġeġġan gg-ulli ġas tenna nmid irġem umeksa zik (VI.5)

Arbre généalogique de la famille Aït Sidi Ali Amhouch



Notes

- 1 **Sidi Cheikh et Sidi Mohand Ou Naceur** se firent tuer bravement par nos cavaliers effectuant une opération de police au sud de Tagouzalt le 27 mars 1923 (Voir Saïd Guennoun, *La Montagne berbère*, p. 182)
Bouázza Ouled Moha ou Hammou Zaïani, sous-officier titulaire de la légion d'honneur, mourut aussi à Tagouzalt. Bouázza et son neveu Moulay Ahmad n'Hassan, à la tête d'une élite de cavaliers Zaïns se heurtèrent aux Aït Sidi Amhaouch à Tagouzalt en Haute Moulouya. Sidi Cheikh, candidat à la succession de son père Sidi Ali Amhaouch, a été tué par Moulay Hmad n'Hassan. Alors, la présidence de la Zaouia passa à son frère Sidi El Mekki qui se révélait sans envergure et sans personnalité.
- 2 **Bou-Outtass** : c'est le siège de la Zaouia des Aït Sidi Ali Amhaouch en Montagne d'Aghbala. La première Zaouia se trouvait à Lenda près d'El Kbab dans la vallée de l'oued Srou. Avec l'occupation, les marabouts l'abandonnèrent pour venir à Bou-Ouatass
- 3 **Les fils de chien** : expression péjorative désignant le Roumi, l'envahisseur.
- 4 Bouâanane : originaire de la fédération des Beni-Moussa de Souk Sebt Oulad Nemma, il a regagné la résistance à Aghbala comme irréductible fuyant le colonisateur. C'est le porte-drapeau du marabout, Sidi El Mekki. Décédé en 1996 à l'âge de 118 ans. Homme courageux
- 5 **Imerchidane** : c'est le repas qu'on sert le matin aux enfants circulant le jour de fête, les enfants se levaient tôt, se groupaient et allaient de tente à l'autre ou de maison en maison en criant : « Imerchidane ! Is taugane ! » C'est-à-dire : le festin est-il prêt ? » et chaque femme tente d'être la première à présenter sa recette aux petits dans un plat de poterie ou la jatte ronde de bois afin de bénéficier de la bénédiction divine
- 6 **Ces grottes** : il s'agit des grottes de Thazizaouth où l'on se cachait.

Bibliographie

- 1- Le Capitaine Saïd ou Guennoun des affaires indigènes du Maroc : *La Montagne Berbère*, Les Ait Oumalou et le pays Zayaïn, 1933, Edition Omnia, Dar El Maghreb et rue de la Mamounia, Rabat.
- 2- Jeanine Drouin, *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen Atlas (Lkbbab) marocain*, Publication de la Sorbonne, 1975, imprimerie Nationale
- 3- Le colonel L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Préface du général Noguès, commissaire résident-général de la république française au Maroc, Charles Lavauzelle et Cie Editeurs militaires, Paris, Boulevard saint germain.

subterfuges comme celui de la fameuse « cartouche magique » qu'il prétendait avoir en sa possession comme legs providentiel de ses ancêtres : *tella gur-i taddwatt iws,s,a-yi baba* (je possède la cartouche, mon père m'en a fait le legs).

Par ce stratagème, Sidi El Mekki se voulait l'héritier et le détenteur légitime de la baraka de ses ancêtres au passé glorieux et mythique parmi les tribus auxquelles il avait promis une écrasante et ultime victoire sur l'occupant français. Avec lui, tous ceux qui refusaient la soumission comprenaient rééditer l'exploit de ses ancêtres Imhiouach et remporter d'autres victoires. D'ailleurs, ce stratagème de la « cartouche magique » n'est pas nouveau car, il avait permis à Sidi Ali même (son père) de conduire des cavaliers amazighs jusqu'à Guercif en 1907 à l'aube de l'invasion française du côté Est du Maroc.

Mais, d'après le poète, dans cette manipulation, il n'y a pas seulement que la trahison, il y a aussi et surtout l'humiliation du stratège lui-même (Sidi El Mekki). Ainsi, la dérision dans laquelle il comptait tourner son ennemi (*arraw n-id,an* = les fils des chiens pour désigner les Français), s'était retournée contre lui et c'était ses fidèles et ses fils aussi qui étaient tournés en dérision : la résistance a échoué et toute la famille Amhaouch a désormais perdu son prestige de jadis. Sidi El Mekki lui a porté le coup de grâce : personne de ses descendants n'osera plus incarner cette baraka qui faisait d'elle un mythe, un symbole et l'emblème de la résistance de toute une région. Sidi El Mekki a nourri tout un imaginaire culturel collectif : c'est l'histoire d'une famille, d'une confrérie et par conséquent celle d'un mythe qui choit. De par cette démythification, même l'ancêtre glorieux, Sidi Ali, était touché dans sa tombe; il assiste impuissant à cette dérive en raison des forfaits de Sidi El Mekki :

inna-wn sidi eli irefsan n-sidi lmekki as ur-enn uggix (V7)

De ses souvenirs, le poète évoque Tazizaout et lui fait la promesse de la graver à jamais dans sa mémoire. Il fait cette promesse et celle du deuil qu'il jure de porter à jamais pour nous dire l'importance de cet événement historique :

ur sar šmi ttux hatin illa wŧŧenni-nmem a tazizaout dig-i (V9)

ullah ur ssiridx ula ksex i- yxf azzar meqqar llan iihan (VII)

LA BATAILLE DE TAZIZAOUTDANS LA LITTÉRA- TURE ORALE

UNE TAYFFART CONTRE SIDI EL MEKKI AMHAOUCH

Bassou HAMRI – FLSH de Beni Mellal

neur : « Sidi El Mekki disait... ». Il s'agissait dans ses dits de serment, de « parole donnée », et d'engagement, d'un contrat fiduciaire entre un chef et ses subalternes, ses fidèles. Son emploi itératif est une énumération des engagements de Sidi El Mekki, de ses dits, de ses commandements mais aussi, de ses désengagements et de ses justificatifs après sa reddition. Trois promesses dans les trois premiers distiques :

-iefa ëebbi awriw ang tieyyadin (V1)

-addawix arraw n- id,an ad-issen lahax (V3)

-tella guË-i taddwat iweĀĀa-yi baba (V5)

Trois dits, trois promesses, mais avérés faux par la suite ; ceci exaspéra la colère du poète et amplifia son amertume : Sidi El Mekki a capitulé, il s'est rendu et s'est soumis, il devient même Caïd du Makhzen. La déception atteint son paroxysme, elle dépasse celle de la défaite, de l'humiliation, elle devient trahison et trahitise. C'est ce que le poète crie dans cette deuxième voix dans la suite de chacun de ces distiques. A chaque « dit », à chaque « promesse », il oppose une réplique qui débute par une expression d'opposition :

zzig = cependant (1^{er} distique)

imil = or - mais (2^{ème} distique)

alli-g : expression temporelle voulant dire « au moment où » mais dans un sens d'opposition (3^{ème} distique).

Par ces expressions, le poète lui-même essaie de trouver une explication à ce désastre, à ce qui a pu constituer le revers d'une situation : comment cela pouvait-il arriver si Sidi El Mekki n'avait pas eu, dès le départ, le dessein de devenir Caïd ? Sidi El Mekki ne les avait-il pas manipulés (ses fidèles) ? N'avait-il pas, en les entraînant avec lui, monnayé au plus fort prix leur naïveté pour obtenir ce qu'il aurait manigancé depuis ?

zzig d- tawargitt ayd wargan adig leqqayd nayt bužuë (V. 2)

(Au fait c'était d'un poste de caïd des soumis qu'il rêvait)

Dans la suite des événements, il est question de la préméditation du Marabout, de son accusation et de dévoilement de ses stratagèmes et ses

Ce qui fait l'importance de cette bataille parmi tant d'autres, livrées héroïquement contre l'occupation française au Moyen Atlas, c'est sans doute sa relation historique avec Sidi El Mekki Amhaouch.

C'est une bataille gravée à jamais dans l'imaginaire collectif des habitants des contrées de l'Atlas Central et autour de laquelle sont construites des légendes, la plus connue fut *tayffart'* contre Sidi El Mekki.

En effet, après la mort des grands caïds, leaders de la résistance armée contre l'occupation française dans toute les contrées du Moyen Atlas tels Sidi Rahou, Moha ou Hamou, Moha ou Saïd -pour ne citer que ceux-ci- tous ceux qui ont refusé la soumission avaient rejoint un guide spirituel, le chef de la confrérie des Imhiouachs, en l'occurrence Sidi El Mekki. Désormais, c'était autour de ce saint marabout, dans les cimés des montagnes de l'Atlas, que s'étaient amassés tous les dissidents et leurs familles ; Sidi El Mekki, qui constituait leur ultime recours et cristallisait leurs espoirs, leur avait promis une victoire certaine sur les envahisseurs. « Mon père Sidi Ali, leur disait-il, m'a légué une cartouche magique qui ferait tomber le mécréant aroumi et ses acolytes au moment opportun ».

Cependant, après tant de souffrances, tant de maux et de malheurs, après tant de déplacements, pendant des années durant, et surtout après un long et infernal siège à Tazizaout sous un déluge d'obus et un cra-

1 Tayffart signifie un poème alors que le poème en question est ensemble de poème dits dans différentes circonstances par des Imdiazen

chat continuuel et systématique de feu, jour et nuit, Sidi El Mekki se rendit et ainsi, de la victoire promise et tant attendue, il n'en fut rien. Pire encore, il accepta, « traîtreusement », le poste administratif de Caïd des Aït Soukhmaneque l'ennemi lui avait, machiavéliquement, proposé.

Dans un lyrisme indescriptible, le poète (anonyme) retrace, avec amertume, les péripéties de cette malencontreuse aventure où, non seulement la supériorité de son ennemi était venue à bout de ses forces, mais où son propre guide l'avait tourné en dérision en se ralliant à l'ennemi.

Cette épopée relate des événements tragiques et héroïques, et évoque également l'amertume, la frustration consécutives à la trahison et à la défaite dont furent victimes les compagnons de sidi El Mekki. Ce dernier marqua par ce geste « abominable », une ère nouvelle dans l'histoire hagiographique de cette région où les saints et les marabouts avaient pourtant, pendant longtemps, une influence considérable.

Dans ce poème, deux symboles sont inextricables de la conscience collective de toute une contrée : Sidi El Mekki et Tazizaout ; Ils nous font découvrir l'Histoire réelle du pays et nous la font revivre. Mais surtout la font goûter parce que dite poétiquement de la bouche de ceux qui l'ont vécu et qui l'ont faite même. C'est le cri d'une âme blessée, profondément touchée dans son honneur et son orgueil. Le seigneur des montagnes, *elbaz*, l'épervier, c'est-à-dire le libre amazigh, devait, pour la première fois dans son histoire, être atteint jusque dans ses sécurisantes montagnes, vaillamment défendues des millénaires durant.

Dans ce poème, le poète (ou les poètes amazighs) pleure ses déboires, essaie de conjurer son sort et sait que seule sa langue, sa consolation de toujours, peut le hisser et l'éloigner des marécages morbides vers lesquels son ennemi voulait l'entraîner :

1. inna-wen sidi lmekki iefa rebbi awriw ang tieyyadin
2. zziǧed tawargit ayd wargan ad ig leqqayd n-ayt buǧuĒ !
3. inna-wen sidi lmekki addawix arraw n-id.an ad- issen lahax
4. imil awined warraw n id.an arraw n sidi lmekki ad issen lahan !

31. Sidi El Mekki regrette que cela puisse lui arriver !
32. Il a été jusqu'à Anergui, Hamdoun voire jusqu'au lieu-dit Oulghazi !

33. N'a-t-on pas à tort du Marabout tant médit ?

34. Nombreux sont ceux qui lui doivent la vie !

35. Réjouissons-nous de la paix ! que Dieu ait les morts en Sa miséricorde !

36. Nous formerons tous un même troupeau et un même guide nous aurons !

Dans ce poème, neuf distiques (1 et 2 - 3 et 4 - 5 et 6 - 7 et 8 - 31 et 32) sont amorcés par l'expression *inna-wn* (=il vous disait ou il vous a dit) ; et par cette expression, le poète, tout en rappelant les événements à travers les dits de Sidi El Mekki relie le passé au présent, en mettant en scène Sidi El Mekki et ses fidèles. Par cette représentation, il implique également l'auditoire que cette expression semble interpeller pour le tenir en témoin devant ces faits.

Dans sa forme temporelle, cette expression fait donc remonter le courant de l'histoire dans un double sens : l'histoire coloniale du pays et cette histoire tragique d'un groupe humain abandonné et trahi par son chef ; c'est donc à une approche psychologique où sont décrits les comportements et les attitudes dans leur diversité, que convie ce poème.

Dans ces mêmes distiques, on peut aussi déceler la présence d'une double voix, La première rappelle, raconte ; la seconde vient appuyer, compléter l'information tout en accusant, criant et désapprouvant. De ce fait, la représentation est presque théâtralisée: chaque distique est formé de deux parties où la seconde vient compléter la première. Nous sommes devant une fresque où les événements s'affrontent pour contourner la nature humaine dans sa pluralité où s'affrontent inlassablement les intérêts comme ceux de Sidi El Mekki et ses fidèles.

Cette expression *inna-wn* trouve également sa légitimité dans l'oralité amazighe qui en use pour dire, raconter, exprimer et s'exprimer. Mais dans ce poème, elle dépasse cette fonction énonciative et pragmatique, elle devient culturelle : c'est surtout d'un engagement qu'il s'agit ici : en disant, l'homme s'engage, il engage sa parole, son hon-

15. Seuls les serviteurs du mécréant ont l'âme malade ;
16. Moi je me suis rendu après tant d'évasions et de cavales.
17. A la famine et aux bombardements ai résisté !
18. Plus rien de ce que je possédais ne m'est resté.
19. Pour être nourris, les renégats ont dénié le prophète ;
20. Que Dieu m'épargne d'être leur acolyte !
21. A présent c'est à la grâce divine que j'aspire ;
22. En moi, l'au-delà prévaut cette vie éphémère.
23. Je voudrais tant savoir si les mutins tiennent bon encore.
24. Qu'ils se nourrissent mal et qu'ils restent loin des Roumis !
25. Je regrette les temps où je vivais sans contrainte !
26. A présent au Moukhazni qui ne l'est guère, je dis maître !
27. Que mon malheur vous accable : interprète, capitaine et Alibouch :
28. Sur un pied d'égalité vous avez mis nobles et ignobles familles !
29. Dignitaire que puisse être quiconque, à vos ordres il se plie !
30. Dussé-je être courageux, orphelin je deviens devant votre autorité !

5. inna-wen sidi lmekki tella ġur-i taddewatt iweĀĀa-yi baba
6. allig tti faṣṣen afn-nen aynna s ur tamend a updiddu.
7. inna-wen sidi eli irfsan n sidi lmekki as ur- enn uggix
8. umma qqublex tig^wmma-nnun ammi iṣemd, u ferran n-ububal
9. ur sar-ṣmi ttux hatin illa wifenni-nnem a tazizaut dig-i
10. unna iżĒan aṣlu ad ur iĀexĀaĒ i wsexman awal nna gan
11. ullah ur ssiridx ula kksex i(y) ix f azzar meqqar llan ilihan
12. llig ddix ar tanut n bu wurġeaydex-d ad ix aswwagi !
13. ur ax-d yiwi wberrad ula lempibba n-lmal a rebbi is di ddix bla ġerrada
14. ana bellah u ṣṣree xur-aṣ a lecdab att gerd iĀefd,awen dig-i !
15. ur da ittasi lġeṣṣan g-ulli ġas tenna mid irċem umeksa zik
16. umma nekk in iḡef-inn ug^wrram allig iḡġa wass pmun imudil !
17. tut-i ifeyyaĒa Āberxas i-laz Ēċan lanfid, aqqeṣmiĒ nnig-i
18. xlant wulli xlan il^wġman x^wlan izzyarr n zeryin y tizi
19. iddad eḡibus^w yaf aruku n- tbawin ttun nnabi

20. g-i tlig^wttir ad zrix i eċċayn xu-yi smun a rebbi d- elibus !
21. ullah lead,im mš da smrarax ġas awal n waskka dat- rebbi
22. umma lewil amm tin uAeġfa illa wass n- imiqq d wass n-šigan.
23. a wayd yufan yan umždi iddan ġer isyyabin ali ur da terġiggin
24. ad as-en yini wtat apešlaf ċċat aqqwaw ula ašsemrir n-wuday !
25. a fad n-dilli g-da ttawix ixf walu-šim a tamereaff nmig-i
26. assa da y ikkat umxezni ar as ttenix sidi sidi ur-t ig-i
27. ad-as ig amuttel i ftežžman imšinna-t iga i lqqeb/annetta d-elibus
28. llig-d ihezza (y) ixf i yits ixamen aderr-ed i yits allig mqaddan!
29. meqqar ilaqq uryaz ig tni ran ininas-en daba
30. dat-ggax aryaz ard d,-awd,ex imi- llbiru ix amm uwžil
31. inna-wen sidi lmekki aya urt-i rix sidi rebbi ištabit
32. kkix anergj kkix pemdun d waddax mi qqarr lġazi
33. ġas is tx^wlam a midden šigan nn- wawal xef- ug^wrram
34. umma netta (y) ažmil ayd gan i šigan !

35. iefa rebbi tturpemn imettin ġġawnn winna d irapen xizzu
36. isul ad ax ismun umeksa, nsul ang yan umuggu. !

Traduction

1. Sidi El Mekki vous a conviés à la fête
2. Mais c'est du poste de caïd qu'il rêvait au fait !
3. A l'ennemi, il promettrait le ridicule !
4. Mais l'ennemi ridiculisa ses propres fils !
5. Il prétendait détenir de son père une quelconque vertu ;
6. Et les événements l'ont mis vite à découvert.
7. Dans sa tombe Sidi Ali se remua de ces méfaits ;
8. Impuissant à vos martyres et tragédies !
9. Ô Tazizaout ! J'entends toujours tes fracas en moi retentir !
10. Et seul celui qui était à Achlou peut les ressentir.
11. Nulle fête ne me fera ôter le deuil que je te porte
12. Maintenant que je suis soumis et devenu muletier !
13. Ô Dieu ! Vous voyez que par force me suis soumis ;
14. J'en appelle à votre Clémence pour être des élus du paradis.